لماذا؟

ربما نكون نحن اهل الصفة العربية وقطاع غزة احوج الناس الى الكتاب العربي. ذلك اننا نحس احيانا ان الحصر الثقافي الذى كان يحلنا دائما بالعالم العربى قد انهار ولاننا نحس في احيان اخرى ان معارفنا الادبية والثقافية قد تجمدت وتوقفت عند الخامس من حزيران من عام الهزيمة.

القارئ فعلا في حاجة ماسة الى الكتاب العربى، والى المجلة والجريدة العربية.. وليس من العجب ان يزور الناس ازورارا عجيبا كذلك عن الصحف والمجلات الثقافية المصرية وغير الثقافية.

ان عصر الانفتاح السياسى والاقتصادى الساداتى كان بحق عصر انغلاق وتعتيم فكرى وثقافي. وقد انعكست آثاره جلية واضحة على الصحف والمجلات المصرية.

لا انكر انني تصفحت بعضها بحثا عن الانفتاح الثقافي. ولا انكر انني لن اعيد الكرة ثانية، لانني لم اجد شيئا مع انني كنت واثقا قبل التصفح انني لن اجد شيئا.

كل الاسماء المصرية التي نعرفها والتي واكبت تفتحنا الفكرى والثقافى والتى تعدّ بحق مفخرة الثقافة والفكر في جيلنا هذا، كل هذه الاسماء غائبة مغيبة لا تستطيع ان تخط حرفا واحدا في صحف بلدها وتمتلئ الصفحات اسماء اخرى جديدة وقديمة، متسلقة تكتب باقلام السلطان الذهبية وتاكل طعامه فتضرب بسيفه.

لا اريد ان اعيد على القارئ بعض الهزر الذى قرات، وكم ارثي لشعب مصر الذى يعيش يوميا هذه الترهات التي تقال باسم الفكر.

وبعد.. لماذا لا يريح سادة مصر انفسهم عناء ونفقة ارسال مسوخهم عبر الورق الينا؟؟ ولماذا لا يستريحون؟؟

نعم.. لماذا؟

ايوب صابر

من تراثنا الشعبي
ازياء المراة

للالوان اثرها العظيم في اى شئ. وفي بلادنا يزدحم الالوان بين احمر التراب واحمر الزيتون واصفر القمح. وسفى جميلة رغم الليل باهلها. وهذا الجمال له مسحة من الفرح واخرى من الحزن، وهكذا يرسم الانسان بابعاده الحقيقة وجمال مظهر الانسان في ارضنا ليس الا دلالة واضحة لعظمة الجوهر ونقاء الروح، ورقة الذوق، في كل الاحوال والتقلبات، ومن جمال الوطن والوانه من الارض حتى الراية ستدع كل شئ، وثيابنا جزء من هذا الكل، فجمال مدينة بيت لحم ليس من الطبيعة بالوانها فقط بل ومن طبيعة الانسان الفلسطيني كذلك، هذه الطبيعة المستقاة من التاريخ القديم والمعاصر بما تحمل من هموم وطموحات اجتماعية وسياسية ودينية وثياب النساء في هذه المدينة تعبر عن هذا الفهم، وتعتبر من اجمل الازياء الفلسطينية، فهي اذ تعبر عن الواقع الاجتماعي والتاثيرات الدينية بحشمتها واعتمادها على لفت الانتباه من خلال جمال الثوب دون التبرج فهي في نفس الوقت تعبر عن الارتباط بالارض والوطن من خلال علمه ورايته، فهذا الزى رغم انه محدد الالوان الا انه غير محدود الجمال ابدا، وقد عبر عن ذلك احد مصممي الازياء الاجانب حين قال معلقا على معرض الازياء الفلسطينية في لندن، "اى جمال هذا، وهل شعب غير حضارى قادر على كل هذا الابداع" والحديث بالطبع عن ثياب النساء في بيت لحم المشهورة بدقة التطريز وصغره والمعروفة بارتباطها من حيث الشكل والمعروفة بارتباطها من حيث الشكل برى السيدة العذراء، وبالقصبة

السياسية من حيث الالوان، في حين نجد الصليب مطرزا باللون الاخضر مكملا الوان العلم الاربعة، او بالاصفر الذى يحمل دلالات الارتباط بالارض عبر لون القمح الاصفر الذهبى، وما يعزز هذا الفهم وجود المحل مطرزا على جانبي الثوب بشكل عمودى من الابط حتى القدم، ولا شك ان المحل يحمل دلالات الحصاد والقمح وما الى ذلك من ارتباط بالارض عبر الزراعة والخصب ودلالة اخرى في هذا الثوب للمراة العاملة في الحقل تتمثل باتساع الاردان او الاكمام ليسهل رفعها وتشميرها وقت العمل. وثياب بيت لحم متعددة الانواع فهناك (الخلق) و (الرهباني) والتى لا تختلف من جهة الالوان كشئ متكامل، رغم اختلاف بسيط فالاول ارضيته بيضاء والاخر سوداء، وكلاهما يحتوى على زنار للخصر من القماش الاخضر اللماع في الغالب، واضافة الى غطاء الراس المسمى الخرقة او الطرحة والتي تكون محاطة بالليرات الذهبية، غير ان هذه الليرات عقب عام ٤٨ تحولت الى شئ اخر وهو القروش الفلسطينية المثقوبة اعتزازا بالارض وذكراها، اما في الوقت الحاضر فان النساء يلبسن الشال على الراس بعد ان قلت الضغوط الاجتماعية على المراة، ومن الامور الملفتة للنظر ان النساء يلبسن الثوب نفسه زيا ولونا سواء كن مسيحيات او مسلمات دليلا على وحدة الوطن والهمّ، اضافة الى اصرارهن على لبس هذا الثوب رغم قدرتهن وتمكنهن من لبس الثياب العصرية، لان في هذه الثياب الاصيلة شيئا من الوطن والذكرى والامل القادم.

عقم الفهم المثالي واصالة الفهم العلمي لتراثنا الشعبي

"علي عثمان"

"إلى من ادّعوا بان علي الخليلي يفسّر التراث اعتباطيا، دون ان تكون لديهم الجراة لنشر آرائهم"

ان الفصل الميكانيكي بين الامثال والاغاني الشعبية وغير ذلك من جوانب التراث جعل من دراسات الكتاب المثاليين في تراثنا جامدة، عاجزة بل وجعل هؤلاء يتخبطون في حيرة في شروحهم لها.. وما يميّز على الخليلي هو دراسته للتراث على اساس من وحدته الشمولية فارتباط الامثال او الاغاني او غيرها في دراساته جدليا ببعضها البعض، جاء منطلقا تماما كما يربط الصراع بين طبقة واخرى او فئة واخرى، وهذا هو الفيصل الحاسم بين ما صدر من كتب حول امثالنا الشعبية عن كتاب مثاليين وكتاب علي الخليلي "التراث الفلسطيني والطبقات"

ان عمل الانسان يرتبط بوعيه وكان الانسان العامل ولا زال من خلال الصراع الطبقي يرى في ترديده للاغاني الشعبية نافذة وجدانية لتمرير وقته المرير.. بينما يحبذ السادة المستغلون خلال العمل ان يردد العامل الاغاني الحماسية.. لا لانها من هذا الصنف او ذاك.. بل لانها لا تخرج في نظرهم عن وسيلة ناجعة لتنشيط قوة عمل العامل وزيادة مردوده في العمل لصالحهم.

ان العامل لا يملك سوى قوة عمله وعندما يزجره صاحب العمل على ترديده لاغان ذات نغم حزين، وحثه على ترديد اغان ذات انغام حماسية.. انما يهدف اولا واخيرا الى دفعه للعمل بحد اكثر يزيد من القيمة الزائدة التي يتوخى الحصول عليها من خلال عمل العامل. مع ان هذا الانسان.. لا يدرك ان عدم ملكية العامل لغير قوة عمله، تجعله يتملك في نفس الوقت كل شروط التحدى من الاحتجاج والرفض والثورة. لكونه يتحرك داخل واقع مادى يحتم عليه كل هذا.

ان هذا التملك من وسائل التحريض الهامة نحو خلق وضعية على طريق سحق الاستغلال.. وفكره المثالي.. والوصول الى الاشتراكية العلمية التي جاءت بفلسفتها المادية تحمل شعلة الفكر الذى يملك وسائل الوصول الى المساواه الحقيقية

ان الفهم العلمى للتراث بانسانيته.. قد واجه ولا زال يواجه الغمز الخفي واكثر منه... من المفكرين المثاليين، خدم الطبقية والاستغلال، فاذا اخذنا من تراثنا مثلا "اليد اللي ما بتحط ما بتشيل" فاننا نرى الموقف العلمي منه يتحدد في أن اليد التي تحمل وتعمل، من اجل نفسها ومن اجل المجتمع لا من اجل غيرها او على حساب غيرها. ونفس الشئ في باقي جوانب التراث وعليه لا يمكن ان يكون هناك لقاء بين المثاليين بفهمهم الجامد.. وبين الفكر العلمي بفهمه الديناميكي في امثال :

النفاذ من الجرح

محمد الأسمر

من فوّهة الزّرفيل انفذ
من عقدة السّياج الصدئ / انفذ
ومن بين اكوام الحنطة المحصودة /
المنتظرة محنة "الدّريس"
فوق البيادر المخضرمة
انفذ منتصبًا
اعدو من بين السنابل الحالمة
بالقطاف
بيد الفلاح القابض على المنجل
وبّ العمّال انفذ منتصبًا
واصرخ في وجه الالة
صاح المرابي..
وضرب اليد العاملة /
بسكين الجزّار الصدئة،
والمتروكة قبل ميلادي
فانفذ من جوف السّكين لحنًا
يدق على اعتاب الميلاد الستين
لساعدي
ويدقّ / يدقّ / يدقّ
على اعتاب الالة المتمردة
شاكوش الحزم
امنته / أضحك / أفرح / أبكي /
اصرخ / أركض / أرتمي /
واتدحرج على الارض المبتلّة
بعرق العامل والفلاح الهاوى بمنكوشه
بحفر / بنكش / بعرق الارض ويزرعها
املًا / شوقًا / فكرًا /
ويزرعها بيدر
أنفذ من فوّهة الزّرفيل
ولتنسع الفوّة

وليحتدّ المنجل
وليبرق الشاكوش شهبا
وليرسوا "المنكوش" تحت الجذر
يدغدغ التّربة
يدغدغ الجرح
فليتسع الجرح
وليتسع البيدر

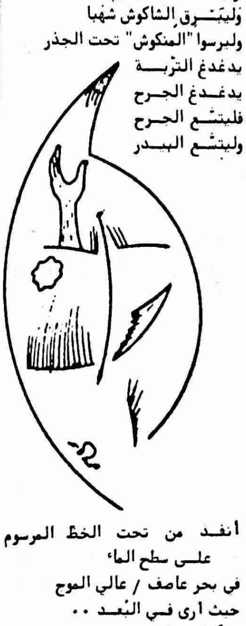

أنفذ من تحت الخط المرسوم
على سطح الماء
في بحر عاصف / عالي الموج
حيث أرى في البُعد..
يدَ الملّاح :
تجذف وَقعَ الفريسة
تجذف اللّقمة
وتجذّف للنّجاة من الهزيمة
تريد النّفاذ من الأرق
وتريد النّفاذ من فوّهة الزّرفيل

مع المصطلحات المسرحية

تعتبر الماساة صنفا من اهم أصناف المسرحية وهي - كما يشير مفهومها - تعتمد على المظاهر الجدية من الحياة. وتعرض الانسان يهوى، وكانه اصيب بالعمى، الى مصير مؤلم. وهذا كله نقيض ما تلتزمه الملهاة.

ومع ان الجمهور الذى يرتاد الملهاة والماساة لا يستطيع الا ان يفكر ويتابع ولكن العواطف - دون شك - تتاثر في الماساة اثارة دونها ما نعرف من فعل الملهاة، ولذلك كانت الماساة عامة شاملة في جرها الجماهير اليها، واعتبرت اسمى اصناف الفن المسرحي.

يجب ان تكون عقدة الماساة عويصة حية ولا تصلح لها ان كانت سهلة يسيرة، وتتفاوت بين الصراع الجدى او الصراع في المثاليات او التناحر في المثل الاجتماعية او الموت. ولعل من اقسى واعمق